

سلسلة
مسلمون علموا العالم

ابن حيَّان

تأليف/ محمد المطارقي

رسوم / هشام حسين

جرافيك / عبير صبحي البحيري



المطارقي، محمد.

أبو الكيمياء: ابن حيَّان

تأليف / محمد المطارقي. ــ (الجيزة: ينابيع،

(2009 ..ص ؛ ..سم . ــ (مسلمون علموا العالم)

١- قصص الأطفال.

٢- القصص العربية

٣- ابن حيَّان، جابر بن حيان عبد الله الكوفي،

٤- الكيميائيون

أ- العنوان: 11ش الطوبجي-الدقي-الجيزة

رقم الإيداع: 23192/2009



كَانَت الابْتسَامَةُ الْجَميلَةُ تُضيءُ وَجْهَ أَحْمَدَ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى مَعْمَلِ الْمَدْرَسَة.. فَهُوَ الْيَوْمُ الَّذي كَانَ يَنْتَظِرُهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.. إِنَّه يَوْمُ الْعُلُومِ.. يَوْمُ الْمَادَّة الْمُحَبَّبَة إِلَى قَلْبه، وَهِيَ مَادَّةُ الْكيمْيَاء!

قَالَ أَحْمَدُ وَهُوَ يَسيرُ مَعَ أَصْدقَائه: كَمْ أُحِبُّ هَذه الْمَادَّةَ! إِنَّهَا تُذَكِّرُني بِشَخْصيَّة مُحَبَّبَة إِلَى قَلْبي.

وَمَا كَادَ أَحْمَدُ وَالأَصْدقَاءُ يَدْخُلونَ مَعْمَلَ الْمَدْرَسَة حَتَّى هَتَفَ أَحَدُ الأَصْدقَاء قَائلاً: أَخْبِرْنَا يَا صَديقي: مَا هِيَ الشَّخْصيَّةُ الْمُحَبَّبَةُ إِلَى قَلْبكَ؟ وَمَا علاقَتُهَا بِمَادَّة الْكيمْيَاء؟ضَحكَ أَحْمَدُ منْ قَلْبه وَقَالَ: لاَ، لَيْسَ الآنَ.. سَأُحَدِّثُكُمْ بِهَا بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ الْمُعَلِّمُ منْ إِجْرَاءِ تَجْرِبَته.



كَانَ الْجَمِيعُ يَتَأَمَّلُونَ الْمُعَلِّمَ وَهُوَ يَقُومُ بِشَرْحِ التَّجْرِبَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالأَبْخِرَةُ تَتَصَاعَدُ مِنْ أَنَابِيبِ الاخْتِبَارِ، وَالأَصْدِقَاءُ يَنْظُرُونَ فِي دَهْشَةٍ.. كَيْفَ حَدَثَ هَذَا؟!

قَالَ الْمُعَلِّمُ: الْكِيمْيَاءُ هِيَ الْعِلْمُ الَّذِي يَدْرُسُ الْمَــادَّةَ؛ تَرْكِيبَهَا وَخَوَاصَّهَا، وَالتَّحَوُّلَاتَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ لَهَا وَحْدَهَا، أَوْ عِنْدَ وُجُودِ مَادَّةٍ أُخْرَى مَعَهَا.

وَصَمَتَ الْمُعَلِّمُ قَلِيلاً ثُمَّ قَالَ: بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى، عِلْمُ الْكِيمْيَاءِ هُوَ عِلْمٌ يَهْتَمُّ بِدِرَاسَةِ تَرْكِيبِ الْمَادَّةِ، وَالتَّغَيُّرَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ لَهَا، وَالطَّاقَةِ الْمُصَاحِبَةِ لِهَذِهِ التَّغَيُّرَاتِ.



وَمَا كَادَ الْجَرَسُ يَدُقُّ مُعْلِنًا انْتِهَاءَ حِصَّةَ الْكِيمْيَاء، حَتَّى الْتَفَّ الأَصْدِقَاءُ حَول أَحْمَدَ وَقَالُوا لَهُ: هَيَّا يا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنَا عَنْ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الْمُحَبَّبَةِ إِلَى قَلْبِكَ كَمَا وَعَدْتَنَا.. كَمْ نُحِبُّ أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تُحِبُّهَا! وَرَدَّدَ الْجَمِيعُ: هَيَّا يَا أَحْمَدُ، أَيُّهَا الْمُثَقَّفُ الصَّغِيرُ!

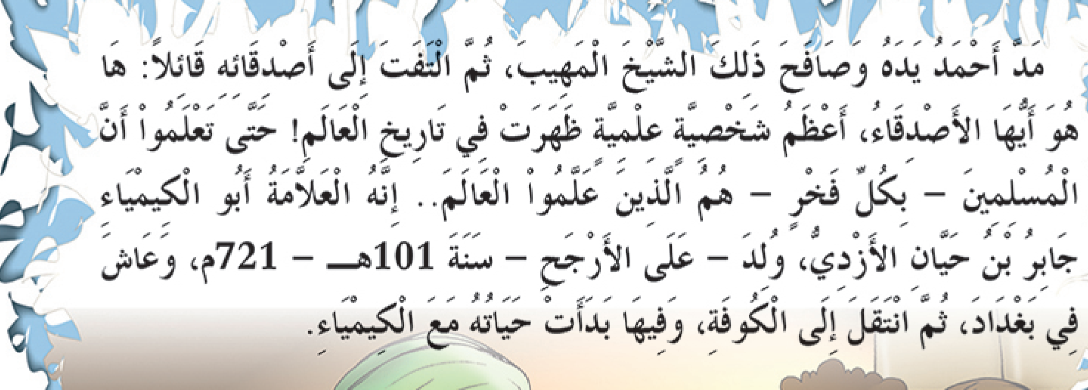
قَالَ أَحْمَدُ وَهُوَ يُمْسِكُ بِكِتَابٍ ضَخْمٍ: إِنَّ الشَّخْصِيَّةَ الَّتِي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا الْيَوْمَ، هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الشَّخْصِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي تَارِيخِنَا الْمَجِيدِ.. فَصَاحِبُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ هُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَخْدَمَ الْمَنْهَجَ الْعِلْمِيَّ فِي الْعُلُومِ، كَمَا أَنَّهُ قَامَ بِعَمَلِ الْكَثِيرِ مِنَ التَّجَارِبِ، وَنَجَحَ فِي اكْتِشَافِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَوَادِّ الْعُضْوِيَّةِ، الَّتِي سَاهَمَتْ فِي صُنْعِ الْعَدِيدِ مِنَ الأَشْيَاءِ.. بِاخْتِصَارٍ: هَذَا الرَّجُلُ يُعَدُّ الأَبُ الشَّرْعِيُّ لِمَادَّةِ الْكِيمْيَاءِ؛ لِذَلِكَ لَقَّبُوهُ بِـــ "أَبِي الْكِيمْيَاءِ"!



تَفَاجَأَ الأَصْدِقَاءُ، وَتَابَعُوا أَحْمَدَ الَّذِي رَاحَ يَمْشِي دَاخِلَ الْمَعْمَلِ وَهُوَ يَقُولُ: تُرِيدُونَ أَنْ تَعْرِفُوا مَنْ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الفَذَّةِ؟ إِنَّهُ الْعَلَّامَةُ الْمُسْلِمُ، شَيْخُ الْكِيمْيَائِيِّينَ "جَابِرُ بْنُ حَيَّان".

مَا كَادَ أَحْمَدُ يَنْطِقُ بِاسْمِهِ حَتَّى وَجَدَ الْكِتَابَ الضَّخْمَ الَّذِي كَانَ يُمْسِكُ بِهِ يَهْتَزُّ بِعُنْفٍ، وَتَتَقَلَّبُ صَفَحَاتُهُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ طَيَّاتِهِ أَبْخِرَةٌ، رَاحَتْ تَتَصَاعَدُ إِلَى أَعْلَى وَتَنْتَشِرُ فِي أَنْحَاءِ الْمَعْمَلِ.. وَمَرَّتْ لَحَظَاتٌ قَلِيلَةٌ، وَإِذَا بِأَحْمَدَ يَنْجَذِبُ بِقُوَّةٍ نَحْوَ الْكِتَابِ، وَمِنْ خَلْفِهِ أَصْدِقَاؤُهُ، وَهُمْ يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ فِي رِحْلَةٍ مُثِيرَةٍ عَبْرَ حُلْمٍ جَمِيلٍ!

وَمَا كَادَ أَحْمَدُ وَالأَصْدِقَاءُ يَهْبِطُونَ دَاخِلَ الْكِتَابِ حَتَّى وَجَدُوا شَيْخًا ذُو لِحْيَةٍ كَثِيفَةٍ، وَذُو مَهَابَةٍ وَوَقَارٍ.. وَمَا إِنْ رَآهُمْ حَتَّى ابْتَسَمَ لَهُمْ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ كَيْ يُصَافِحَهُمْ!



مَدَّ أَحْمَدُ يَدَهُ وَصَافَحَ ذَلِكَ الشَّيْخَ الْمَهِيبَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ قَائِلاً: هَا هُوَ أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ، أَعْظَمُ شَخْصِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ ظَهَرَتْ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ! حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ – بِكُلِّ فَخْرٍ – هُمُ الَّذِينَ عَلَّمُوا الْعَالَمَ.. إِنَّهُ الْعَلَّامَةُ أَبُو الْكِيمْيَاءِ جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ الأَزْدِيُّ، وُلِدَ – عَلَى الأَرْجَحِ – سَنَةَ **101هـ – 721م**، وَعَاشَ فِي بَغْدَادَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَفِيهَا بَدَأَتْ حَيَاتُهُ مَعَ الْكِيمْيَاءِ.



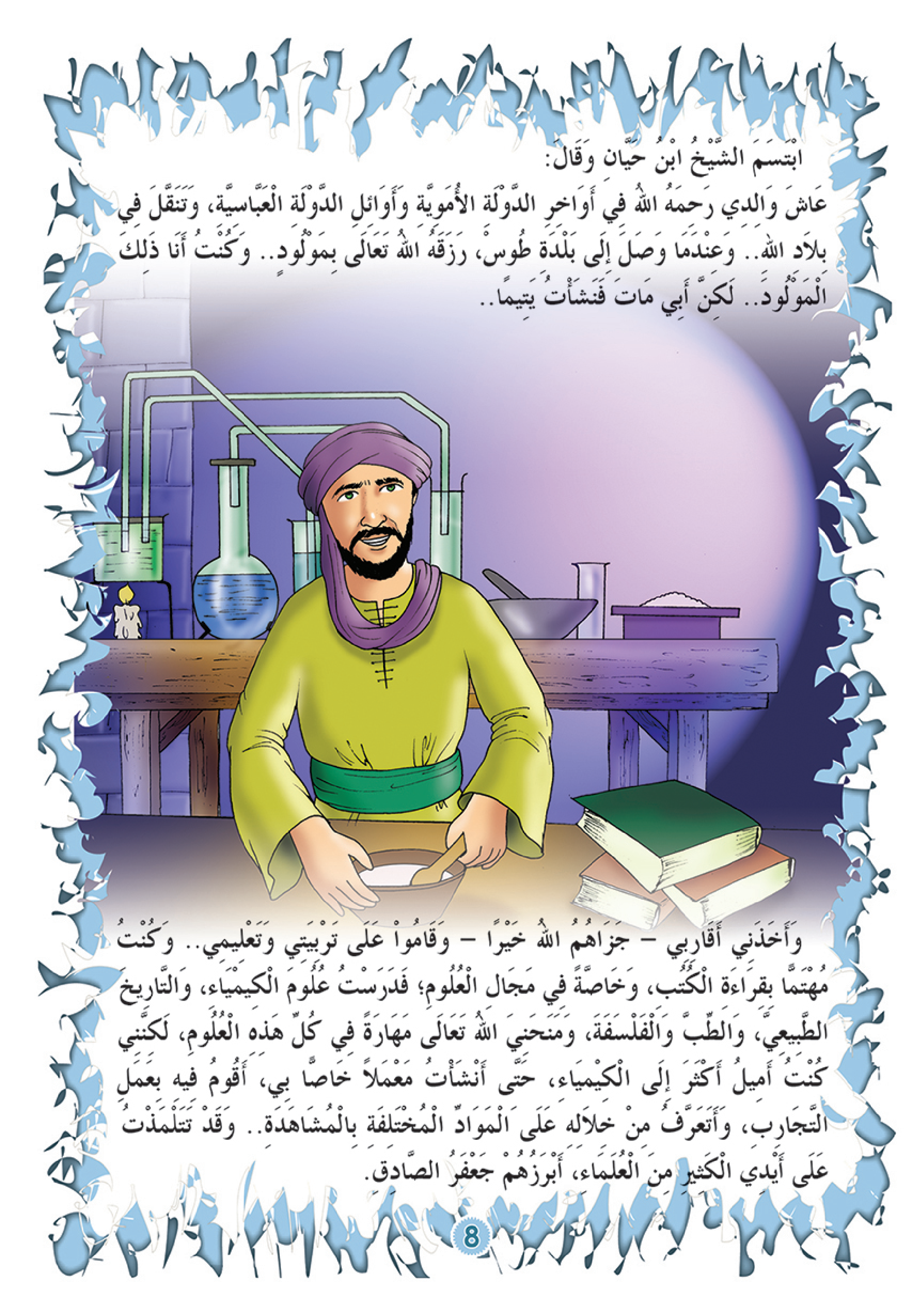
ابْتَسَمَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ أَحْمَدَ قَائِلاً: مَا شَاءَ اللهُ.. كَيْفَ عَرَفْتَ كُلَّ ذَلِكَ؟

قَالَ أَحْمَدُ: إِنَّنِي أَقْرَأُ كَثِيرًا فِي الْكُتُبِ يَا سَيِّدِي، وَلِي اهْتِمَامَاتٌ خَاصَّةٌ بِمَجَالِ الْكِيمْيَاءِ، كَمَا أَنَّنِي قَرَأْتُ عَنْكُمْ كَثِيرًا، وَعَنِ الْمُؤَلَّفَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي قُمْتُمْ بِتَأْلِيفِهَا.

هَزَّ الشَّيْخُ جَابِرٌ رَأْسَهُ الْمُعَمَّمَةَ وَقَالَ: حَسَنًا.. زَادَكَ اللهُ عِلْمًا يَا وَلَدِي، وَبَارَكَ فِيكُمْ جَمِيعًا.

قَالَ أَحْمَدُ: يَحْلُو لَنَا سَيِّدِي أَنْ نَسْتَمِعَ إِلَى صَوْتِكَ وَأَنْتَ تَحْكِي لَنَا عَنْ حَيَاتِكَ، وَبِمَنْ تَأَثَّرْتَ، وَكَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى تِلْكَ الْمَكَانَةِ الْعَظِيمَةِ.

صَاحَ الْجَمِيعُ: نَعَمْ، نَعَمْ يَا سَيِّدِي، كَمْ نُحِبُّ الاسْتِمَاعَ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَحْكِي لَنَا عَنْ حَيَاتِكَ الْمُثِيرَةِ، الْحَافِلَةِ بِالْعِلْمِ!



ابْتَسَمَ الشَّيْخُ ابْنُ حيَّان وَقَالَ:

عَاشَ وَالدي رَحمَهُ اللهُ في أَوَاخرِ الدَّوْلَة الأُمَويَّة وَأَوَائلِ الدَّوْلَة الْعَبَّاسيَّة، وَتَنَقَّلَ في بلَاد الله.. وَعنْدَمَا وَصلَ إلَى بَلْدَة طُوس، رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَوْلُود.. وَكُنْتُ أَنَا ذَلكَ الْمَوْلُودَ.. لَكنَّ أَبِي مَاتَ فَنَشَأْتُ يَتِيمًا..

وَأَخَذَني أَقَارِبي - جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا - وَقَامُوا عَلَى تَرْبِيَتي وَتَعْليمي.. وَكُنْتُ مُهْتَمًّا بقرَاءَة الْكُتُب، وَخَاصَّةً في مَجَال الْعُلُوم؛ فَدَرَسْتُ عُلُومَ الْكيمْيَاء، وَالتَّاريخ الطَّبِيعيَّ، وَالطِّبَّ وَالْفَلْسَفَةَ، وَمَنَحَني اللهُ تَعَالَى مَهَارَةً في كُلِّ هَذه الْعُلُوم، لَكنَّني كُنْتُ أَميلُ أَكْثَرَ إلَى الْكيمْيَاء، حَتَّى أَنْشَأْتُ مَعْمَلاً خَاصًّا بي، أَقُومُ فيه بعَمَلِ التَّجَارِب، وَأَتَعَرَّفُ منْ خلَاله عَلَى الْمَوَادِّ الْمُخْتَلفَة بالْمُشَاهَدَة.. وَقَدْ تَتَلْمَذْتُ عَلَى أَيْدي الْكَثير منَ الْعُلَمَاء، أَبْرَزُهُمْ جَعْفَرُ الصَّادق.

قَالَ أَحْمَدُ: يَقُولُ الأَسَاتِذَةُ وَالْمُهتَمُّونَ بِعُلُومِ الْكِيمْيَاءِ: إِنَّ جَابِرَ بْنَ حَيَّانٍ هُوَ أَوَّلُ مَنِ استَعْمَلَ الْمُخْتَبَرَ فِي إِجْرَاءِ التَّجَارِب.

وَيَقُولُونَ أَيْضًا: إِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الأُسُسَ الْعِلْمِيَّةَ الصَّحِيحَةَ لِلْكِيمْيَاءِ الْحَدِيثَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَخُصُّونَهَا بِكَ فَيُسَمُّونَهَا: "عِلْمَ جَابِرٍ"، وَ"صَنْعَةَ جَابِرٍ"!



رَدَّ جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ بِتَوَاضُعٍ قَائِلاً: نَعَمْ يَا عَزِيزِي، وَللهِ تَعَالَى الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ، لَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي أَنْ تَكُونَ تَجَارِبِي فِي مَجَالِ الْكِيمْيَاءِ عَلَى الْوَاقِعِ؛ حَتَّى أَكُونَ عَلَى يَقِينٍ وَاقْتِنَاعٍ بِصِحَّةِ مَا أَعْتَقِدُ.. وَلِذَلِكَ فَأَنَا أُوصِيكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الأَصْدِقَاءِ، كَمَا كُنْتُ دَائِمًا أُوصِي تَلاَمِيذِي: "أَوَّلُ وَاجِبٍ أَنْ تَعْمَلَ وَتُجْرِيَ التَّجَارِبَ؛ لأَنَّ مَنْ لاَ يَعْمَلُ وَيُجْرِي التَّجَارِبَ، لاَ يَصِلُ إِلَى أَقَلِّ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الإِتْقَانِ؛ فَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ بِالتَّجْرِبَةِ لِتَصِلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ".



قَالَ أَحَدُ الأَصْدِقَاء الصِّغَار بحَمَاس شَدِيد: سَيِّدي، إِنَّني أُريدُ أَنْ أُصْبِحَ عَالِمًا كَبِيرًا مِثْلَكَ، لَكِنَّ الْبَعْضَ يَسْخَرُ مِنِّي وَيَضْحَكُ!!

قَالَ ابْنُ حَيَّان: اعْلَمُواْ أَحبَّائي أَنَّ الإِنْسَانَ الطَّمُوحَ دَائمًا يَحْلَمُ بالأَشْيَاء الصَّعْبَة الَّتي يَرَاهَا الآخَرُونَ مُسْتَحِيلَةً، الْعُلَمَاءُ لاَ يَعرِفُونَ الْيَأْسَ أَبَدًا؛ لأَنَّهُمْ لو يَئسُواْ أَوْ شَعَرُواْ في لَحْظَة من اللَّحظَات بالْمَلَل أَو الضِّيق؛ فَإنَّهُمْ لَنْ يُحَقِّقُواْ أَيَّ شَيْء عَلَى الإطْلاَق.. كَمَا أَنَّ الْعَالَمَ لَنْ يَتَقَدَّم خُطْوَةً وَاحدَةً.. وَلَكنْ لاَ بُدَّ أَوَّلاً من وَضْع الْهَدَف، ثُمَّ الْعَمَلِ بكُلِّ الطُّرُق للْوُصُول إِلَيْه، لاَ بُدَّ للْعَالم أَنْ يَكُونَ عَلَى علْمٍ وَمَعْرفَة بالْعُلَمَاء الَّذين سَبَقُوهُ، وَالْمُعَاصرُونَ لَهُ أَيْضًا في مَجَال تَخَصُّصه، حَتَّى يَسْتَطيعَ أَنْ يَسْتَكْمل الطَّريقَ.. فَإنَّ جَميعَ الإنْجَازَات الْعَظيمَة الَّتي تَمَّت في الْعَالَم هي جُهُودٌ مُتَّصلَةٌ بَيْنَ الْعُلَمَاء عَلَى مَرِّ الأَزْمَان.. كُلُّ عَالمٍ يَجْتَهدُ بِحَسْب قُدرَاته وَمَوَاهبه، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوَفِّقُهُ..



كَانَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ جَابِرُ بْنُ حَيَّان يَتَحَرَّكُ دَاخِلَ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الضَّخْمِ، وَمِنْ حَوْلِهِ مَجْمُوعَةُ الأَصْدِقَاءِ الصِّغَارِ، وَعَلَى رَأْسِهِمِ الصَّغِيرُ أَحْمَدُ.. كَانُواْ فِي غَايَةِ الشَّغَفِ لِلاسْتِمَاعِ أَكْثَرَ إِلَى هَذَا الْعَالِمِ الْكَبِيرِ.

أَشَارَ الشَّيْخُ نَحْوَ أَحَدِ الْبُيُوتِ الْعَتِيقَةِ وَقَالَ: هُنَا، فِي هَذَا الْمَكَانِ.. كَانَ الْمُخْتَبَرُ الَّذِي كُنْتُ أَقُومُ فِيهِ بِعَمَلِ التَّجَارِبِ.. تَعَالُواْ لِتُشَاهِدُواْ بِأَنْفُسِكُمْ أَهَمَّ الْعَمَلِيَّاتِ الْمَخْبَرِيَّةِ الَّتِي قُمْتُ بِهَا.. هَيَّا يَا أَعِزَّائِي.

وَفِي دَاخِلِ الْمُخْتَبَرِ كَانَ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَوَارِيرِ، وَأَنَابِيبُ الاخْتِبَارِ، وَبَعْضُ الأَجْهِزَةِ الْخَاصَّةِ.. وَكَانَتْ رَوَائِحُ نَفَّاذَةٌ تَتَسَلَّلُ إِلَى أُنُوفِهِمْ.. رَوَائِحُ غَرِيبَةٌ وَمُتَدَاخِلَةٌ، حَتَّى إِنَّ الْبَعْضَ مِنَ الأَصْدِقَاءِ وَضَعَ كِمَامَةً عَلَى أَنْفِهِ..

قَفَزَ أَحْمَدُ إِلَى أَعْلَى سَعِيدًا مُبْتَهِجًا وَقَالَ:

وَاوْ.. كَمْ أُحِبُّ الْمَعَامِلَ وَالْمُخْتَبَرَاتِ سَيِّدِي.. إِنَّ عِنْدِي فِي الْبَيْتِ مُخْتَبَرًا خَاصًّا بِي.. نَعَمْ هُوَ صَغِيرٌ وَلَيْسَ كَبِيرًا مِثْلَ هَذَا، لَكِنَّهُ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ يُسَاعِدُنِي فِي عَمَلِ التَّجَارِبِ الْعِلْمِيَّةِ.



ابْتَسَمَ الشَّيْخُ ابْنُ حَيَّان، وَوَضَعَ يَدَهُ بِكُلِّ حَنَان عَلَى رَأْسِ أَحْمَدَ وَقَالَ: هَذَا رَائِعٌ جِدًّا.. مَا أَجْمَلَ أَنْ يَبْحَثَ الإِنْسَانُ وَيَصِلَ إِلَى النَّتَائِجِ النَّافِعَةِ بِالتَّجْرِبَةِ!!

قَالَ أَحْمَدُ: هَلْ تُحَدِّثُنَا عَنْ أَهَمِّ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِي قُمْتَ بِهَا يَا سَيِّدِي..

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ حَيَّان عَلَى الْفَوْرِ: نَعَمْ، بِكُلِّ تَأْكِيد.. لَقَدْ قُمْتُ بِإِجْرَاءِ الْكَثِيرِ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الْمَخْبَرِيَّةِ، رُبَّمَا الْبَعْضُ مِنْهَا كَانَ مَعْرُوفًا مِنْ قَبْلُ، غَيْرَ أَنَّنِي قُمْتُ – بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ – بِتَطْوِيرِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ، كَمَا أَنَّنِي أَدْخَلْتُ عَمَلِيَّاتٍ جَدِيدَةً لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ، وَقَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى صُنْعِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْوَرَقِ يُقَاوِمُ الْحَرِيقَ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي تَغْلِيفِ الْمَصَاحِفِ وَالْكُتُبِ الْقَيِّمَةِ، كَمَا ابْتَكَرْتُ قُمَاشًا يُقَاوِمُ الْمَاءَ، وَقُمْتُ بِتَحْضِيرِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَوَادِّ الْكِيمْيَائِيَّةِ، وَقَدِ اكْتَشَفْتُ الصُّودَا الْكَاوِيَةَ.. وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ حَضَّرَ مَاءَ الذَّهَبِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ طَرِيقَةَ فَصْلِ الذَّهَبِ عَنِ الْفِضَّةِ!!



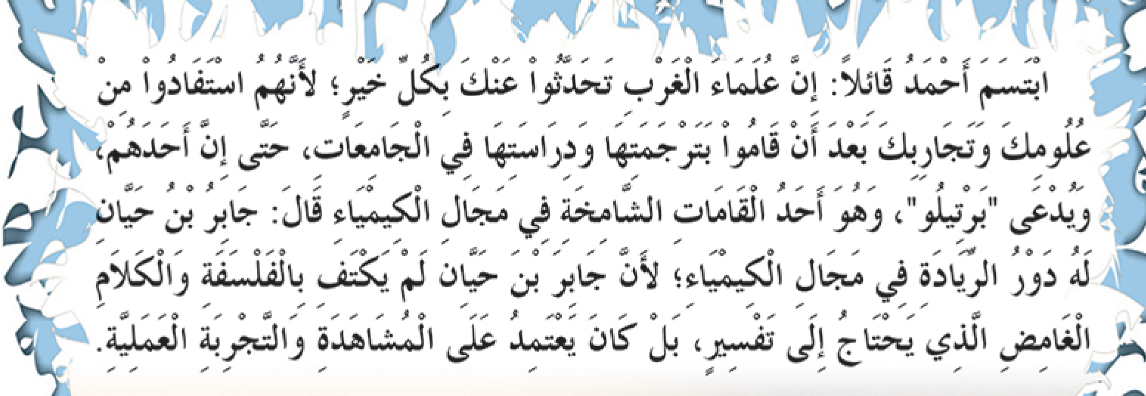
كَانَ الأَوْلَادُ يَنْظُرُونَ إِلَى الشَّيْخِ الْعَلَّامَة جَابِر بن حَيَّان وَهُم فِي غَايَة الدَّهْشَة..

حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ: يااااه.. مَا كُلُّ هَذَا؟! أَنْت بِحَقٍّ مَوْسُوعَةٌ ضَخْمَةٌ تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ!

وَقَالَ آخَرُ: لَوْ أَنَّكَ فِي زَمَانِنَا الْمُعَاصِرِ لَنِلْتَ جَائِزَةَ نُوبِلْ!!

قَالَ أَحْمَدُ: لاَ يَا صَدِيقِي.. إِنَّ عَالِماً فِي حَجْمِ وَوَزْنِ جَابِرِ بْنِ حَيَّان أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ جَائِزَة.. إِنَّ الْكَثِيرِينَ الَّذِينَ حَصَلُواْ عَلَى جَوَائِز نُوبِل وَغَيرِهَا مِنَ الْجَوَائِزِ الْعَالَمِيَّة هُمْ تَلَامِيذُهُ.. نَعَمْ هُمْ كَذَلِكَ؛ لأَنَّهُمْ تَتَلْمَذُواْ عَلَى كُتُبِه، وَتَعَلَّمُواْ عَلَى أَيْدِي عُلَمَاء كَانُواْ فِي الأَصْلِ تَلَامِيذاً لِتَلَامِذَتِه..

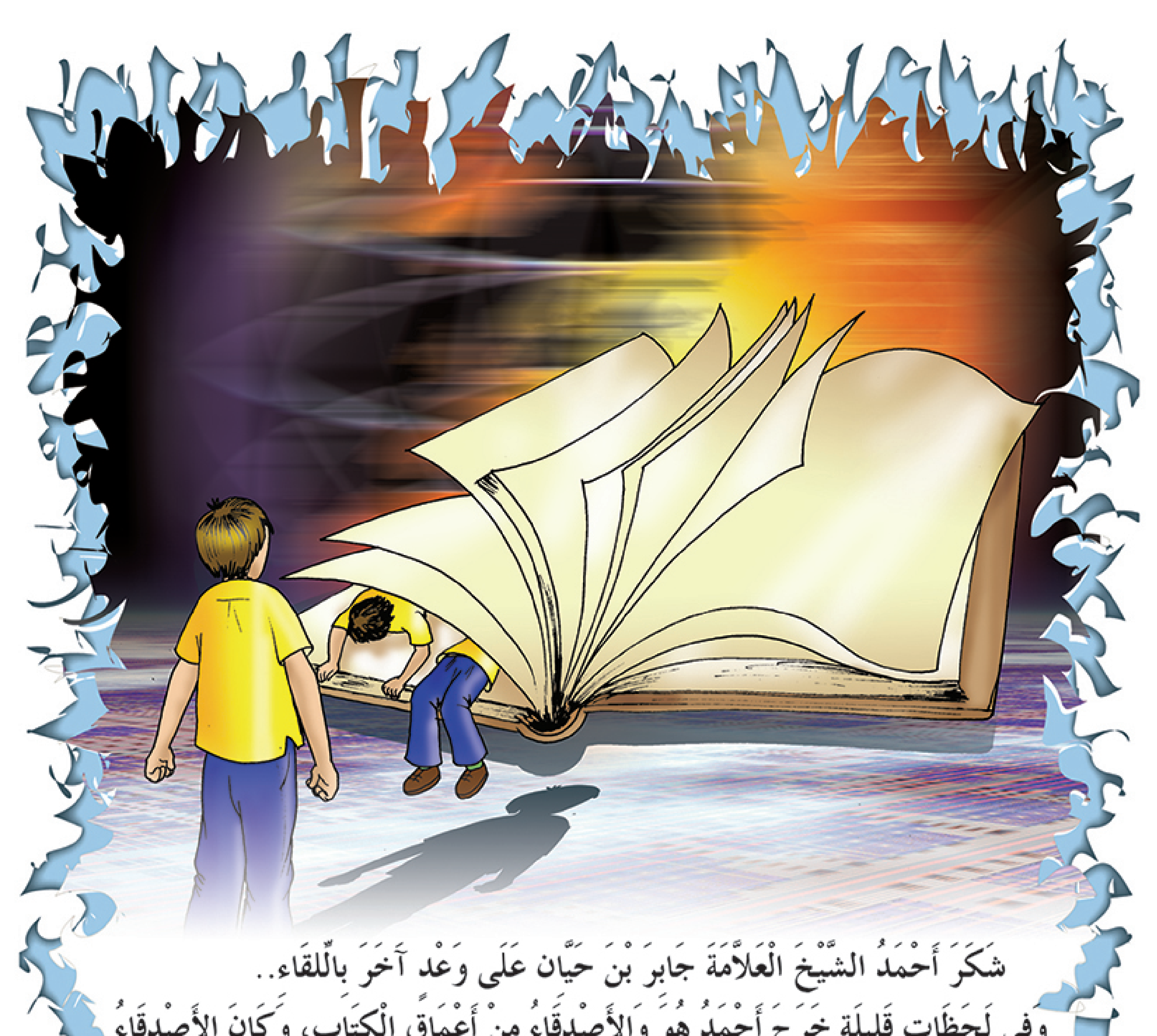
قَالَ الشَّيْخُ جَابِرُ بْنُ حَيَّان: إِنَّنَا يَا أَحِبَّائِي لَمْ نَعْمَلْ مِنْ أَجْلِ الْجَوَائِز، وَلَمْ نَعْمَلْ فِي هَذَا الْمَجَال مِنْ أَجْلِ الْمَالِ أَوِ الْمَنَاصِبِ أَوِ الشُّهْرَة.. لَقَدْ قُمْنَا بِأَعْمَالٍ جَلِيلَة وَعَظِيمَة، وَكَانَ الْفَضْلُ فِيهَا لله عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ جَهْدُنَا الْمُتَوَاصِل.. إِنَّنَا نُحِبُّ الْعِلْمَ، وَنَتَمَنَّى مِنَ الله أَنْ يَنْفَعَ بِنَا الْعَالَم.



ابْتَسَمَ أَحْمَدُ قَائِلاً: إِنَّ عُلَمَاءَ الْغَرْبِ تَحَدَّثُواْ عَنْكَ بِكُلِّ خَيْرٍ؛ لأَنَّهُم اسْتَفَادُواْ مِنْ عُلُومِكَ وَتَجَارِبِكَ بَعْدَ أَنْ قَامُواْ بِتَرْجَمَتِهَا وَدِرَاسَتِهَا فِي الْجَامِعَاتِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ، وَيُدْعَى "بِرْتِيلُو"، وَهُوَ أَحَدُ الْقَامَاتِ الشَّامِخَةِ فِي مَجَالِ الْكِيمْيَاءِ قَالَ: جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ لَهُ دَوْرُ الرِّيَادَةِ فِي مَجَالِ الْكِيمْيَاءِ؛ لأَنَّ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ لَمْ يَكْتَفِ بِالْفَلْسَفَةِ وَالْكَلامِ الْغَامِضِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ، بَلْ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى الْمُشَاهَدَةِ وَالتَّجْرِبَةِ الْعَمَلِيَّةِ.

وَقَالَ الْعَالِمُ الْكَبِيرُ لُوبُونْ: تَتَأَلَّفُ مِنْ كُتُبِ جَابِرٍ مَوْسُوعَةٌ عِلْمِيَّةٌ تَحْتَوِي عَلَى خُلاصَةِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ عِلْمُ الْكِيمْيَاءِ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي عَصْرِهِ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ كُتُبُهُ عَلَى بَيَانِ مُرَكَّبَاتٍ كِيمْيَائِيَّةٍ كَانَتْ مَجْهُولَةً قَبْلَهُ..

وَقَالَ آخَرُونَ: جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ سَبَقَ عَصْرَهُ بِقُرُونٍ عَدِيدَةٍ!



شكَرَ أَحْمَدُ الشَّيْخَ الْعَلاَّمَةَ جابرَ بْنَ حَيَّان عَلَى وَعْد آخر باللِّقاء..

وفي لَحظَات قَليلَة خرَج أَحْمَدُ هُوَ وَالأَصْدقَاءُ مِنْ أَعْمَاقِ الْكِتَابِ، وكَانَ الأَصْدِقَاءُ في حَالَة منَ الْحُزْنِ الشَّديد.

قَالوا لَهُ: لَقَدْ تَعجَّلْتَ الْخُرُوجَ يا أَحْمَدُ.. كُنَّا نَودُّ أَنْ نَمْكُثَ مَعَ هَذَا الْعَالِمِ الْكَبِيرِ فَتْرَةً أَطْوَلَ..

قَالَ أَحْمَدُ: مَعْذرَةً أَيُّهَا الأَصْدقَاءُ.. لَقَدْ أَثْقَلْنَا عَلَيْه أَكْثَرَ منَ اللاَّزمِ..

عَلَيْنا إِذَا كُنَّا بِالْفعلِ نُحبُّه، أَنْ نَقرَأَ الْكُتُبَ، وَنَهتمَّ بالْمُذَاكرَة وَالتَّفوُّق، عَلَيْنا أَنْ نَسْتَفيدَ منْ تَجَاربه، وَنَعْمَلَ بِمَبَادئه في مَجالاَتِ الْبَحْثِ وَالْمُطَالَعَة، هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُسلمِينَ الَّذِينَ عَلَّمُوا الْعَالَمَ.

ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ لأَصْدقَائه وَهُمْ يَجْلسُونَ في الْمَعْمَلِ:
عنْدي مَجْمُوعَةٌ من التَّجَارِب الْعلْميَّة قُمْتُ بهَا، وَتَسْتَطيعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا أَنْ تَقُومُوا بِهَا، وَلَكنْ بِحَذَرٍ.. منْ هَذه التَّجَارِبِ تَجْرِبَةُ الْبَيْضَةِ الَّتِي تَطِيرُ بِلاَ أَجْنحَةٍ!!



قَالَ أَحْمَدُ:هَذه التَّجْرِبَةُ رَغْم بَسَاطَتها إلاَّ أَنَّهَا مُمْتعَةٌ.. نَحْنُ نَحْتَاجُ فَقَطْ إِلَى مَاء مُقَطَّر، وبَيْضَة..وَالآنَ اثْقُب الْبَيْضَةَ ثُقْبًا صَغيرًا جدًا، ثُمَّ أَفْرِغ الْبَيْضَةَ من مُحْتَوَيَاتهَا عَنْ طَرِيق هَذَا الثُّقب، ثُمَّ امْلء الْبَيْضَة بالْمَاء الْمُقَطَّر من خلال الثُّقب أَيْضًا..
وَالآنَ عَلَيْك بسَدّ هَذَا الثُّقْب، وَتَلْوينه بلَوْن يُشبهُ لَوْنَ الْبَيْضَة؛ وَذَلكَ لإخْفَائه عَنِ الآخَرين.. ثُمَّ عَرّض الْبَيْضَة لأَشعَة الشَّمْس السَّاطعَة..
وَمَا هي إلاَّ لَحَظَاتٌ حَتَّى تَرْتَفعَ الْبَيْضَةُ في الْجَوّ وَتَطيرُ!!
وَهُنَا شَكَرَ الأَصْدقَاءُ أَحْمَد، وَذَهَبَ كُلٌّ منْهُم لإجْرَاء التَّجْرِبَة.